

يوم عاشوراء في مدينة كربلاء موسم للحزن يتجدد في كل عام

تحقيق: وليد عبد الأمير علوان
تصوير: علي الجبوري

كربلاء التي تقع على مسافة 102 كم جنوبي العاصمة بغداد، حيث مدفّن الإمام الحسين وأخيه العباس واثني عشر من أهل بيته وأصحابه، هي مدينة الحزن والمراسيم السنوية التي يحتفل بها الشيعة ويجري تذكّر مأساة قتل الحسين الشهيد وأهل بيته وأصحابه (رض). وهذا وصف لبعض مظاهر العزاء وخلفيته التاريخية.

نبذة تاريخية

تذكر المصادر التاريخية أن أول مجلس عزاء خاص بمناسبة استشهاد الحسين، قد أقيم في مدينة كربلاء، بعد أربعين يوماً من استشهاد، وخديداً يوم العشرين من شهر صفر سنة 61 هـ وذلك أثناء عودة السبابة من أهل الحسين وعياله من الشام في طريقهم إلى المدينة المنورة، حيث وجدوا عند القبر الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري، كما أقام التوابون بقيادة الصحابي سلمان بن صرد الخزاعي مأتماً كبيراً هناك، عند مرورهم من كربلاء سنة 65 هـ ثم توالى بعد ذلك تلك المراسيم وتوسعت لتشمل معظم مدن وسط وجنوب العراق، إلا أنها تأخذ طابعاً خاصاً في المدن الدينية المقدسة: كربلاء، والنجف، والكاظمية في العاصمة بغداد.

مراسيم العزاء اليوم

تبدأ الاستعدادات لهذه المناسبة منذ اليوم الأول من شهر محرم، حيث توشح جميع مساجد الشيعة بالسواد، كما ترفع الرايات والأعلام على معظم البيوت، وفي الشوارع والطرق، وهي ذات ألوان مختلفة وكل منها يحمل رمزا خاصا، وتعلق اللافتات السوداء التي تجسد هذه المناسبة في معظم الشوارع والمحلات، ويرتدي معظم النسوة الملابس السوداء، وكذلك عدد كبير من الرجال، خصوصاً في القرى والأرياف، في حين يكتفي أهل المدن بارتداء قميص الأسود، وتقام السراقد التي تعد لإقامة مجالس العزاء، أو لاستقبال الزوار الذين يأتون من المناطق الأخرى، حيث تقدم وجبات الطعام والشراب مجاناً، كما ترتفع أصوات مكبرات الصوت وأجهزة التلفزيون والتسجيل لترديد المراثي الحسينية والمحاضرات الدينية، التي تتحدث عن هذه المأساة المروعة وما لقيه أهل البيت رضوان الله عليهم.



Alam Zenki

علم زنكي

أن لكل موكب الراية الخاصة به، وهي على شكل محمل وتسمى في بغداد بـ "علم زنكي" وهي تحريف لكلمة "علم جنكي" الفارسية وتعني "راية الحرب"، ويمتاز هذا المحمل بجماليته، حيث يحتوي على العديد من السيوف والدروع المرتبة بشكل عمودي وأفقي ←

أما بالنسبة للنساء، فإن مجالس العزاء تقام في البيوت، وعادة ما تقام لدى العوائل الغنية أو ذات المكانة الدينية والاجتماعية العالية. تمتاز المدن الدينية الثلاث بأن لكل محلة أو منطقة أو حتى أصحاب المهن مثل النجارين أو الجواهريّة موكب عزاء خاص بهم، كما



A horse to symbolise the battle of Yom Al-Taf

فرس يستخدم كتجسيد لمعركة يوم الطف

مع بعض الأضوية، ويتراوح وزنه من (110-500 كلغم). ويحمل من قبل شخص واحد، وعادة ما يكون قوي الجسم حيث يقوم برفعه عن طريق حزام قوي يرتديه يحتوي على حلقة يوضع فيها العمود الخشبي الموجود في وسط الحمل، حيث يتقدم موكب العزاء. وتقوم هذه الموكب بالاستعراض، وبشكل منظم، في الشوارع العامة طيلة الأيام العشرة الأولى من محرم، وعادة ما تنتهي عند أحد المرافد المقدسة الموجودة في تلك المنطقة.

التاسع من محرم

يوم التاسع من محرم هو اليوم الذي يسبق المعركة، حيث يتوافد مئات الآلاف منذ الصباح على مدينة كربلاء التي يحيي الزائرون فيها ليلة العاشر من محرم حتى الصباح، بعضهم يحيونها بقراءة الأدعية الخاصة بتلك الليلة والتي خُفِلَ بها كتب الأدعية الموجودة في داخل الأضرحة المقدسة، أو يقوم الزائرون بحلبها معهم، والبعض الآخر بالصلاة وقراءة القرآن داخل الضريح أو في الرواق أو حتى في الصحن، في حين يكتبني البقية بمتابعة موكب العزاء التي لا تنقطع، والتي تسير في طرق ضيقة يسورها مشاهدو الموكب، نساء وأطفال وشيوخ يراقبون موكب "الزجيل" والتي تتكون عادة من طابورين متوازيين، يتقدمها شباب يحملون الرايات الخضراء والحمراء والبيضاء، وهم يحملون الزناجيل الحديدية وهي عبارة عن سلاسل صغيرة مثبتة بحمل خشبي، وهي كثيرة العدد يرفعونها إلى الأعلى ثم يهزون بها على ظهورهم، وهم يدورون نصف دورة مع أنغام صوت القارئ (الرادود)، وهم يقومون بتزويد المرآتي الحسينية.

وفي هذه الموكب أشخاص يحملون طبول ودفوف كبيرة يضربونها بواسطة العصي المعقوفة، ومعهم ضاربي "الطوس"، وهي آلة مصنوعة من النحاس، دائرية الشكل تحدث صوتاً قوياً عندما تضرب واحدة بالأخرى، كما إن هناك جموع أخرى تجلس في تكيات بنيت على الطرقات، وقد وضعت في داخلها الفوانيس والآلات الملونة المصنوعة من الزجاج والكرستال، لتعطي منظراً مدهشاً من التناسق، الذي يبدأ من الأرض ليرتفع بهذه القوارير الزجاجية المضاءة بمصايح ملونة يغلب عليها اللون الأحمر، إلى سقف التكية المسورة بالقماش الأسود.

وفي الوقت الذي تتحرك فيه جموع الزوار بصعوبة بالغة وسط الشوارع المكتظة، تكون هناك مجموعة من الشباب تتحرك وسط هذا الزحام وهي تحمل رشاشات على ظهورها لرش الرذاذ على الزوار لترطيب الجو، في حين تدور قدور الطبخ تطهو الطعام لتقدمه إلى الزوار والذي يوزع إما في أواني بلاستيكية أو في أواني جلبيها الزوار أنفسهم، بينما يقوم البعض بتوزيع الشاي على طول الطرقات والشوارع، وما أن تتقدم لتأخذ قحداً من الشاي حتى يبادرك شاب بإعطائك كعكة لتأكلها ثواباً.

كلما مضى الليل ازدادت الجموع، وازداد بريق الأضرحة، أما من يدركه التعب وخصوصاً العوائل التي تأتي برمتها فإنها تفتش الرصيف الموجود أمام المحلات ←



Children participating in the event

أطفال يشاركون في العزاء



The Hussaini Standards

رايات حسينية



A march with Attashabih (Re-enactment)

مسيرة مصحوبة بالتشابيه

والتي عادة ما تغلق أبوابها لتفسح المجال أمام الزوار لأخذ قسط من الراحة. أما النساء فعادة ما يأخذن حافات الطريق ليلطمن على صدورهن مع مواكب العزاء التي تخترق شوارع المدينة. ويتكون كل موكب من ثلاث مجاميع، في كل مجموعة يرفع أحد الشباب لافتة كتب عليها مقطع من القصيدة التي ينظر إليها المنشدون ويرددون ما كتب عليها. وما أن يصلوا إلى مقطع متفق عليه حتى تتوقف المجموعة الأولى لتبدأ المجموعة الثانية بالإنشاد بمقطع آخر مرتبط بالمقطع الأول. وهكذا المجموعة الثالثة. وكل ذلك يجري بإيقاع موحد ترتفع فيه الأيدي مؤشرة إلى السماء ثم في نهاية كل مقطع تهوي الأيدي على الصدور. مئات المواكب بجامعها حملتها شوارع كربلاء إلى صباح يوم العاشر من محرم وكان المدينة لم تنم.

يوم عاشوراء

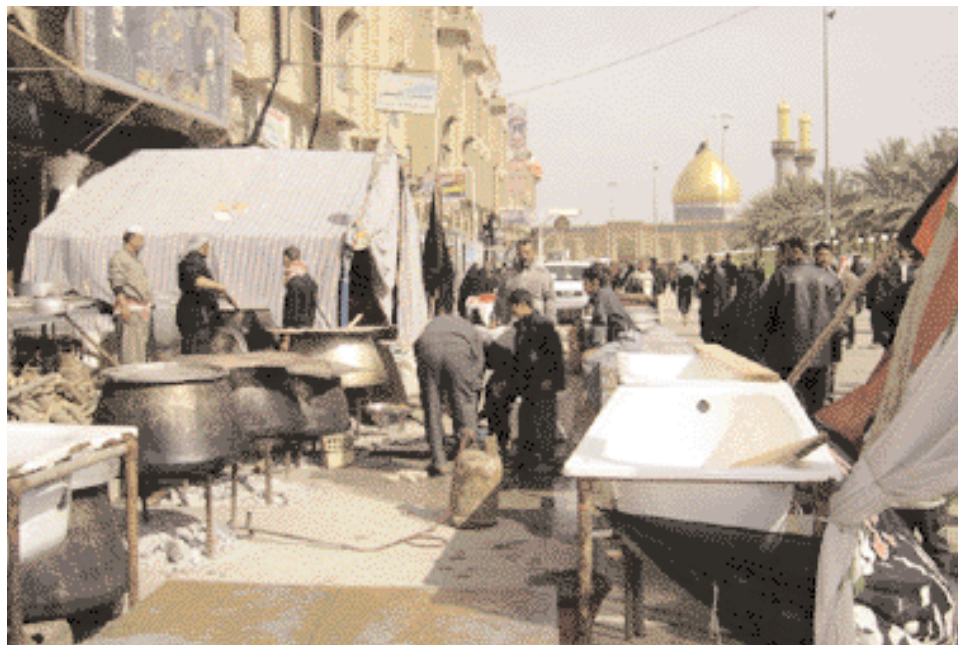
عادة ما يصل الأزدحام إلى ذروته في صباح هذا اليوم حيث تأتي جموع الزائرين من كل شارع وشارع ليقفوا ويتجمهروا أمام الأبواب العشرة لضريح الإمام الحسين (ع). إلا أن هذا الأزدحام يكون على أشده أمام الباب المسمى بـ "باب القبلة". مرددين (أبد والله ما تنسى حسيناً) لينظم إليهم الأشخاص الذين يأتي بعضهم مشياً على الأقدام من بغداد أو المحافظات القريبة منها ضمن مجاميع أو فرادى في رحلة تستغرق يومين. بعد أن قام أهالي المناطق التي مر بها هؤلاء الزوار بتهيئة أماكن لاستراحتهم، وتقديم الطعام والمشروبات لهم. والمبيت أحياناً. أما أهل المدينة وأبناء المناطق القريبة منها فهم يقدمون في مواكب تجوب المناطق القريبة من ضريح الإمام الحسين وأخيه العباس. خصوصاً المنطقة المسماة بـ "بين الحرمين" والتي يبلغ طولها 350م وعرضها 80م، في حين يؤدي بقية الزائرين مراسم الزيارة.

تأخذ مراسم الاحتفالات شكلاً متميزاً يوم العاشر من محرم، حيث يتجمع الآلاف من الزوار داخل الصحن الحسيني للاستماع للقصبة الكاملة لاستشهاد الإمام الحسين، والتي يرويها أحد الخطباء وتستمر زهاء ساعتين ونصف. في الوقت الذي تكون فيه المدينة تعج بالزوار والذين لا يتمكن بعضهم من الدخول إلى داخل الصحن بسبب شدة الأزدحام. أما أهالي المدينة فإنهم يقومون بتهيئة وجبة الغداء الخاص بيوم عاشوراء، وهي الرز و"القيمه". وهي عبارة عن مزيج من اللحم والحمص والتي تعد بطريقة خاصة. وعادة ما تكون اللحوم من لحوم الغنم والبقر والجمال والتي تعد معظمها وتسمن قبل عام تماماً. أي منذ يوم عاشوراء الفائت. بعد أن قاموا بتوزيع وجبة الفطور والتي تسمى بـ "الهريسه" وهي مزيج من حبوب القمح واللحوم والتي يستغرق إعدادها طيلة ليلة يوم عاشوراء، حيث يجتمع عدد من الأشخاص لإعدادها لأنها تحتاج إلى عملية تحريك مستمرة وعلى نار هادئة لكي تقدم صباح يوم عاشوراء. علماً أن هذه الوجبة تعد أيضاً في معظم مدن وسط وجنوب العراق.



The Run of Touirj

عزاء طويريج



Preparing food for Ashoura day

تهيئة الطعام للزوار يوم عاشوراء



The arrival of the "Run of Touirij" in the afternoon of Ashoura day

قدوم موكب العزاء المعروف بـ "عزاء طويريج" إلى ضريح الإمام الحسين بعد ظهيرة يوم ١٠ محرم

ثالث الإمام

ولعل آخر فصول هذه الاحتفالية هو ما يتم يوم الثاني عشر من محرم والذي يسمى في العراق "ثالث الإمام" أي اليوم الثالث على استشهاده. حيث تخضر قبيلة بني أسد، وهي نفس القبيلة التي تولى أفراد منها دفن الإمام الحسين والقتلى من أهل بيته وأصحابه سنة 61 هجرية، والتي لا تزال تقطن نفس المنطقة. بشيوخها ورجالها ونسائها وأطفالها وهم بحاله يرثي لها تفجعاً على ما حل بالإمام الحسين. حاملين الحارث والعدد الخاصة بعملية الدفن وهم يرددون باللحجة العراقية الدارجة "يا عباس الحضر وبين دليته" محاكاة لما يطلبه الدفان من أهل الميت عن المكان الذي يرغبون أن تدفن الجثة فيه. ثم يؤدون بعد ذلك مراسيم الزيارة.

لقد وصل عدد زوار مدينة كربلاء يومي التاسع والعاشر من محرم السنة الماضية إلى أكثر من خمسة ملايين زائر من داخل العراق فقط كانوا يتحركون في منطقة لا تتجاوز 7 كيلومترات مربعة. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه كيف سيكون حال المدينة لو سمحت الظروف للزوار من الأقطار العربية والإسلامية بزيارتها في هذا اليوم المشهود؟ ■

أحرق خيام الحسين وأصحابه. بإحراق هذه الخيام المعدة. بعد تجسيد مجموعة من الأشخاص لمشاهد العركة كاملة كما حصلت فعلاً والتي تسمى بـ "التشابيه". عند وصول طلائع هذه النظاره إلى منطقة الحميم فإنهم يندفعون تجاه هذه الخيام في محاولة لإطفائها في منظر شديد الأسى والحزن وسط صراخ وعويل النسوة التجمعات بأعداد كبيرة في تلك المنطقة. ويندفع الموجودون في تلك المنطقة للقيام بذلك أيضاً. وللحصول أيضاً على قطع من الخيام المحترقة من باب التبرك والذكرى.

لقد شارك في هذه النظاره العام الماضي أكثر من مليوني شخص. حيث استمر تدفق الحشود البشرية وبدون توقف لأكثر من أربع ساعات في الساحة بين الحرمين.

مساء يوم العاشر

بعد انتهاء هذه النظاره تكون جميع المراسيم الخاصة بيوم عاشوراء قد تمت. وعند حلول الظلام يطفأ معظم الأنوار الموجودة في المدينة حدادا على مقتل الحسين وتوقد الشموع حيث تحمل من قبل أهالي المنطقة في مواكب جماعية تطوف المدينة.

أضخم ماراثون في العالم

لعل أهم احتفالية في يوم العاشر من محرم تقام في هذه المدينة فقط وفي هذا اليوم وتعرف بـ "ركضة طويريج". وطويريج هو قضاء من الأفضية التابعة لمدينة كربلاء، حيث يتجمع معظم أهالي هذه المنطقة وبمختلف الأعمار في منطقة تبعد عن ضريح الإمام الحسين (ع) مسافة 2 كم تدعى بـ "قنطرة السلام". وبعد أن تتم تأدية صلاة الظهر بإمامة أحد السادة الأشراف من نسل الرسول (ص) يمتطي الإمام حصانا ويعطي إذنا بالانطلاق. عندها تنطلق هذه النظاره ثم ينضم إليها الآلاف من الزائرين متجهين إلى ضريح الإمام الحسين وهم يضربون بأيديهم على رؤوسهم ويهتفون بشعارات مختلفة. وبعد خروج المسيرة، تدخل إلى ضريح الإمام العباس (ع) ومن ثم تنطلق إلى "الحميم" وهي نفس المنطقة التي كانت فيها خيام عائلة الحسين وأصحابه يوم عاشوراء والتي لا تبعد عن ضريح الإمام الحسين سوى مسافة 150م. حيث يتم تهيئة عدد من الخيام مساو لعدد الخيام التي كانت موجودة فعلاً يوم العاشر. ثم يقوم أحد الأشخاص والذي يمثل دور "شمر بن ذي الجوشن" الذي كان أحد قادة جيش عمر بن سعد والذي يذكر الرواة بأنه هو الذي